(١٦) العلماء والتجارة بالعلم

(استغلال العلم ماديًا)

د. صلاح:

إن من الأزمات الموجودة بالفعل في كيان أمتنا الإسلامية هو قضية التجارة بالعلم، نحن لدينا أمثلة حقيقة مؤلمة وكثيرة جدًّا تمثّل ظاهرة وليس مجرد حالات.

مأساة عندما يعلم الأب ابنه القرآن حتى يدخل به مسابقات تحفيظ القرآن، فيصبح حفظ القرآن من الطفولة ليس لتحمّل أمانة التكليف بالقرآن، وأن يكون التشريف فيه تكليف بحمل هذه الأمانة، وأن هذا التشريف أنه حمل راية الإسلام وراية القرآن، فيصبح حفظ القرآن عند الأسرة نوع من التكسب.

من الممكن أن تكون هناك جائزة لرفع المعنويات عند الولد، والأب إن كان يريد أن يربي ابنه تربية صحيحة، ثم يقول له تصدق بهذه على فقير أو يتيم أو مسكين وأعط الفقير بنفسك وأنا آت لك بخير منها، حتى يربي فيه أن هذا الذي كسبه من حفظه للقرآن هو رمز للتشريف.

وقال رسول الله صل الله عليه وسلم: «... وما فتح رجلٌ بابَ مسأَلَةٍ، يريدُ بها كثْرَةً، إلَّا زادَهُ اللهُ تعالى بها قلَّةً».

الراوي: أبو هريرة -المحدث: الألباني

المصدر: صحيح الجامع -الصفحة أو الرقم: ٥٦٤٦

خلاصة حكم المحدث: صحيح

ورغم أن التعفف به عِزة، إلا أن هناك أمثلة كثيرة مؤلمة وتمثل ظاهرة وليس مجموع حالات، فإن أمكن تفيض علينا من بعض مما تراه في واقعنا التاريخ المُر أو بعض الشواهد التاريخية.

د. راغب:

إن علاقة العالِم بقضية المال هي علاقة إما في قمته وإما في أسفله، ففي قمته يفتن العالِم بكثرة المال، وفي أسفله العالِم يفتن بقلة المال.

و الصواب أن يكون بين ذلك متوازنًا، فكثرة المال لا تطغيه وقلة المال لا تيأسه وتحبّطه، ولا يجب أن تؤدي إلى تغيير مبادئه. بل يكون في وسطيه بين هذا وذاك ويكون قدوة لغيره.

من المشاهد المؤلمة حكى لي أخ وهو رجل من رجال الأعمال الكبار بأنه يقوم بتجميع أصحابه في بيته لحضور لقاء ديني ويُحضر شيخا كبيرا ويعطي له قدر كبير من المال حتى يقول كلمة للحضور ويُحضر أيضا شيخا مقرئ كبير ومشهور ليصلي المغرب والعشاء بالناس في بيت هذا الرجل، لكن لسبب ما اعتذر الشيخ المُقرئ وطلب الرجل من الشيخ الأول أن

يصلي هو بالناس، فصلى الشيخ وأعطى الكلمة، وبعد انتهاء اليوم إذ بالشيخ يطلب مالا إضافيا لأنه صلي المغرب بالناس وهذا لم يكن على حسب الاتفاق، واختلفوا وقتها في مقدار المال الي سيأخذه!

د. صلاح:

إننا أمام أزمة حقيقية وهي أن يتحول العلم إلى وسيلة للتكسب، سواء برفع أسعار الكتب بطريقة جنونية جدًا بحيث لا تناسب عموم الناس أن يقرؤوا، أو أن بعض الشيوخ تشترط أجور خيالية للظهور في البرامج الفضائية.

أذكر موقفا مؤلمًا أنني دُعيت مع شيخ ما إلى مؤتمر صغير لطُلاب عِلم في دار أيتام وكان من يقومون على هذا المؤتمر حالهم فقير جدا، لكن بعد انتهاء المؤتمر أعطوني والشيخ ظرفا به مال، فأعدته إليهم وطلبت من هذا الشيخ أن يعيده إليهم، فأعاده لكنه غضب غضبا كبيرا وقال لي لقد أحرجتني ولن أذهب معك في أي مؤتمر آخر بعد الآن، لأنه كان يريد المال الذي أعطوه إياه!

أو بعض الشيوخ الذين يسافرون للخارج مدعوين لبعض المؤتمرات ويشترطون مبالغ خيالية على كل خاطرة أو محاضرة، ويفترض أنهم أصحاب رسالة!

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «خَلّوا بيني وبين الناس»، وهذا هو الأصل في العالِم، لكن أن يتحول إلى تجارة مُرة هذه مسألة مؤلمة جدًا.

(ضعف الدخل المادي للعالِم)

لكن من ناحية أخرى، يوجد هناك خلل اجتماعي وسياسي في إنهاك العلماء وجعلهم في أدنى سُلَّم الدخل المادي، وهذا لا يجوز شرعًا، وعلى الأغنياء التَكَفُل، حسبةً لله تعالى بكفاية وليس بالكفاف، ببعض العلماء حتى يتفرغوا للدعوة.

وذلك بتقديم منحة وقفية لكفالة عالِم ما حتى لا يحتاج إلى أحد أبدًا ولا يبسط يده لأحد، لأن الأوقاف داخل بلاد الإسلام تتعرض إلى السلب والنهب والإهمال.

د. راغب:

لدي من سألني سؤال أسألك إياه بالتبعية لتعطينا رأيك فيه:

شيخ أحسبه على خير من دولة مسلمة وظروفه المادية ليس عالية ويريد أن ينتقل إلى دولة أخرى غنية للعمل بها، وهو معه ماجستير وكان لديه طموحات دكتوراه وأتت له وظيفة مؤذن في مسجد فقط في هذا البلد بمبلغ كبير، لكن لن

يسمح له بالتدريس أو بأي عمل دعوي آخر، وبذلك ستتحجَّم مسيرته في العلم وقد لا يكمل الدكتوراه وفي نفس الوقت لديه أسرة ويعاني من مشكلة مادية، أيترك الدكتوراه وأحلام العلماء وبناء الأمة وينتقل إلى مكان آخر يبحث فيه عن المال، ماذا يفعل؟

د. صلاح:

ما الذي يجعله هذا العالِم أن يتحول إلى مؤذن لا يملك حتى أن يُصلي إمامًا ولا أن يقول كلمة الله، أُفضِّل أن يعيش المعاناة، فالصحابة رضوان الله عليهم، واولهم عبد الله بن مسعود وكان من كبار العلماء، عاشوا سنوات يأكلون أوراق الشجر، ونحن مرت علينا أيام كنا لا نستطيع إلا أن نأكل إلا وجبة واحدة في الأربع وعشرين ساعة وكنا نصبر صبرًا جميلًا والله سبحانه وتعالى أكرمنا بفضله الواسع.

لا يمكن أبدًا للإنسان أن يترك الأبواب المفتوحة لدعوة الله سبحانه وتعالى ويشعر بالرضا عن هذا، فآفة العلم الترك.

ويمكن أن يتخذ عملًا بجانب عمله وسيجعل الله بعد عسرٍ يسرًا، هذه الصورة من المعاناة تصنع الرجال والأبطال وأصحاب المروءات، والطموح الذي لديه بأن يحصل على الدكتوراه يجعله ينحت في الصخر،

على لإخواننا العلماء أن يقرؤوا عن الظروف الصعبة التي عاشها الصحابة من قبل، وقليلٌ من النبيين كانوا أغنياء والباقون كانوا عاديين جدًا، وهذا حال الربانيين من العلماء.

والإمام الشافعي أيضا كان يعيش ظروف صعبة جدًا.

د. راغب:

في البداية أخبرته ألا يذهب إلى هذا البلد لكن بعد أن أخذت منه معلومات كثيرة عنه وعن حاله، قلت له رأيي أن يستمر في بلده ويُكمل مسيرته العلمية لكن يمكن له أن يذهب إلى هذه البلد بسقفٍ معلوم، مثل سنة أو سنتين ليُحَصِّل مبلغ محددًا من المال يعينه فيما بعد على حياته أو مسيرته العلمية.

أتمنى من أغنياء وحكام الأمة ومؤسساتها أن يتولوا رعاية العلماء ماديا، لأن كثيرًا منهم ظروفهم صعبة، فكيف يمكن للخطيب والإمام والعالِم أن يغير مسار الأمة وهم من يُتَصَدقَ عليهم، وليس فقط الغني أو الحاكم أو العالِم هم من عليهم مراجعة أنفسهم بل الأمة جميعها عليها ذلك، نحن نحتاج إلى إصلاح منظومة كاملة.

د. صلاح:

على الجميع أن يستشعر المسؤولية عن نفسه، فالعالِم عليه أن يتحمل قليلًا، فلا يفتح على نفسه أبواب الاستهلاك قبل أن يوفر لنفسه باب الاستثمار. ويمكنه أن يسافر حتى يُكَوِّن مشروع صغير يُعزه عن الراتب الرسمي بجانب استكمال العلم، لا أن يسافر كي يحصل على سيارة فخمة ويستدين بسببها سنواتٍ عدة، ويكون سفره مساعدا له لا أن يُنسِيه هدفه.

د. راغب:

وقبل سفره عليه أن يحدد خطة لحياته، ويتذكر دائما ما الهدف وراء حصوله على المال، هل هو للترف أم أنه لتحسين وضعه المادي ومن ثم ساعده على إكمال مسيرة علمه؟! وعندما تَكثُر عليه الأموال سيتضح هدفه الحقيقي.

د. صلاح:

الإنسان عليه أن يتصبر ومن يتصبر يُصَبِّره الله، ولا يستعجل، قال الله: {خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ} [الأنبياء: ٣٧]، ويجب ألا يستعجل الإنسان الدنيا، لأنها ستأتي وتُبسط تحت أرجلنا كرامًا، لا أن يزحف وراءها ويفقد العلم.